ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: http://www.jtuh.tu.edu.iq

Rhetoric and Style: The Dialectic of Originality and Westernization

Assistant Professor Dr. Mohammad Hasan Mustafa

College of Basic Education – University of Mosul

* *Corresponding author: E-mail* : mohamedh@mosul.edu.iq

Keywords:
Rhetoric
Style
Dialectics
Originality
Tradition

ARTICLE INFO

Article history:
Received 12 Feb. 2011
Accepted 3 Apr 2011
Available online 12 Sept 2022
E-mail
journal.of.tikrit.university.of.humanities@tu.edu.i

ABSTRACT

Rhetoric and style relate to the same field of knowledge—a matter that causes the dialect of whether they are treated as synonyms. This research hypothesizes that this dialect is the outcome of the western culture which is grounded on intellectual and cultural facts relate to the western societies, its languages and its cultural heritage. Therefore, rhetoric for them, as a concept, go back to what Aristotle defines as the art of persuasion. The case is different in Arab's culture and its rhetorical heritage. Thus, the relationship is different as well as the view towards these two concepts is also different. Such differences between East and West can be seen as the point from which the dialectic of the subject emerges.

© 2022 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.29.9.1.2022.04

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit

البلاغة والأسلوب: جدلية الأصالة والتغريب

أ.م.د محمد حسن مصطفى/كلية التربية الأساسية – جامعة الموصل

الخلاصة:

البلاغة والأسلوب ينتميان إلى حقل معرفي واحد، ومن هنا نشأت إشكالية العلاقة بينهما، فمن قائل بالترادف بين العنوانين، وكونهما اسمين لمسمى واحد، أو التبادل بينهما بوراثة الأسلوبية الحديثة للبلاغة القديمة، أو التقاطع ونفي أية علاقة بينهما، كما قال بذلك البعض، ويفترض هذا البحث وجود جدلية قائمة على أساس أن هذه الإشكالية من منتجات الثقافة الغربية، وتقوم على معطيات ثقافية وفكرية تخص المجتمعات الغربية ولغاتها وموروثها الثقافي؛ فالبلاغة لديهم لها مفهوم يمتد بجذوره إلى التراث اليوناني الأرسطي الذي عرفها بـ(فن الإقناع) بل إن هذه البلاغة أخذت اسمها وملامح صورتها من (فن الخطابة) (Rhetoric)) وهذه الحالة مختلفة في اللغة العربية وتراثها البلاغي، ومن هنا اختلفت العلاقة واختلفت النظرة إلى الأسلوب، غير أن حركة التغريب تتجاهل المقدمات الكامنة في تراثنا اللغوي، وتنطلق من

النتائج الجاهزة في الثقافة الغربية المعاصرة، فتنقل كل منتجات هذه الثقافة، من نظريات وفرضيات وموضات، وتحاول استنباتها في واقعنا الثقافي، ومن هنا تنطلق جدلية الموضوع.

كلمات مفتاحية: البلاغة، الأسلوب، الجدلية، الأصالة، التراث، المعاصرة

المقدمة:

قليل هم الذين كتبوا عن الأسلوب وعلم الأسلوب والأسلوبية من غير أن يقرنوا بينها وبين البلاغة، مثبتين للعلاقة بينهما في معظم الأحيان، مع الاختلاف في طبيعة هذهِ العلاقة، أو نافين لها أحياناً؛ بناء على موقف من التراث أو القديم، أو تصورٍ للتجدد والحداثة، وحتى هؤلاء المعرضون عن البلاغة بحجة قدامتها، وانقطاعها عن الحياة المعاصرة، وانحصارها في مرحلة تاريخية معينة، لا يملكون إلا أن يلموا بها، ويأخذوا منها، وإن كانوا يسترون أحياناً ما أخذوه بأسماء ومصطلحات جديدة، لا يحتاج الباحث إلى كبير جهد، أو تدقيق نظر ليلمح وراءها مفاهيم البلاغة، وملامح صورتها بوضوح، وهذه الفئة من الدارسين يقصدها الدكتور محمد عبد المطلب بقوله: ((...من كل ذلك أصبح محتماً التصدي لتلك الأصوات التي ترتفع حيناً بعد حين، بالهجوم على البلاغة القديمة، والعجيب أن معظم هؤلاء المهاجمين إذا احتكموا للدراسة التطبيقية مع الخطاب الأدبي، لا يجدون ما يسعفهم إلا تلك الأدوات البلاغية القديمة من تشبيه واستعارة وكناية، ومن تقديم وتأخير، وحذف وذكر، وتعريف وتنكير، ومن سجع وجناس وطباق، وربما كانت الإضافة التي نلاحظها على استعمال هذه الأدوات هو إخضاعها لمسميات طارئة، توهم بالحداثة، كالانحراف والانتهاك والانزياح، ثم إدخالها في دوائر الإحصاء العددي، وهي دائرة لم تغب عن القدماء تماماً، وإن كانت إشاراتهم لها خاطفة...))[١] والنص يشير إلى قضايا وتوجهات أسلوبية حديثة تشترك فيها مع البلاغة، والبلاغة العربية بخاصة، فالانحراف، والانتهاك والانزياح، ومثلها مصطلحات عديدة أخرى، عالجت البلاغة مضامينها، وحددت مفاهيمها بدقة تفوق ما هي عليه في الأسلوبية الحديثة التي تتداخل فيها حدود هذه المفاهيم والمصطلحات، بل إن الأسلوبية نفسها لم ترسُ على مفهوم واحد، لتعدد اتجاهاتها وصورها إلى حد جعل البعض ينكر وجودها.

والعلاقة بين البلاغة والأسلوب، أو الأسلوبية عند من يفرق بينهما، من الأمور الواضحة الجلية، يقرر ذلك الدارسون الغربيون قبل غيرهم، يقول بيير جيرو[٢]: ((ويمكننا القول بأن الأسلوبية بلاغة حديثة... والبلاغة هي أسلوبية القدماء، وهي علم الأسلوب، كما كان يمكن للعلم أن يدرك حينئذ...))[٣] وهذه المرجعية التي تمثلها البلاغة بالنسبة للأسلوبية الحديثة يؤكدها جورج مونان في سياق نقده للأسلوبية بقوله: ((كل أسلوبية تفضي إلى بلاغة))[٤] ومع هذا الوضوح نجد من ينكر هذه العلاقة القائمة بين البلاغة والأسلوبية ويعدّها ((أغرب الروابط وأعجبها))[٥] .

لكن الغربيين أغرقوا في التنظير للأسلوبية، وتعددت فيها آراؤهم ومفاهيمهم وتعريفاتهم، وامتزج البحث اللغوي في كثير منها بالنظريات الفلسفية، مما أضفى عليها كثيراً من الغموض، فعلى الصعيد النظري

نجد على سبيل المثال تعريف "موريه": ((الأسلوب بالنسبة لنا هو موقف من الوجود، وشكل من أشكال الكينونة))[٦] الذي يشير إلى أبعاد فلسفية لا يتضح وجه علاقتها بالأسلوب اللغوي، وعلى صعيد تحليل النص، يلاحظ الدكتور محمد عبد المطلب ((أن عملية الكشف عن الدلالة تتحول إلى عملية تغطية، حيث يتحول النص إلى مجموعة من المقولات الغامضة، على معنى أن المتلقي يقرأ النص أحياناً فيستوعب كثيراً من جوانبه، ثم ينتقل إلى قراءة التحليل، فيستغلق عليه النص والتحليل معاً))[٧] ذلك أن بعض هذه النظريات يحلق بعيداً عن اللغة وطبيعتها ونصوصها، حتى ليخيل لقارئها أنها تتحدث عن نظريات ميتافيزيقية، أو تصف أكواناً وعوالم في كواكب أخرى، فإذا اضطر أصحابها للتمثل باللغة ونصوصها – وقلما يفعلون ذلك– يكتشف القارئ مدى المفارقة الكبيرة بين النظرية وتطبيقاتها اللغوية! ويذكرنا هذا بشكوى ابن قتيبة في مقدمة "أدب الكاتب" من حالة مشابهة في منتصف القرن الثالث الهجري، حين طغت مفاهيم الفلسفة، ومصطلحات علم المنطق على البحث اللغوي، يقول عن هذا العلم: ((...له ترجمة تروق بلا معنى، واسم يهول بلا جسم، فإذا سمع الغُمر، والحدث الغِرّ قوله: الكون والفساد، وسمع الكيان، والأسماء المفردة، والكيفية والكمية، والزمان والدليل، والأخبار المؤلفة؛ راعه ما سمع! وظن أن تحت هذه الألقاب كل فائدة، وكل لطيفة! فإذا طالعها لم يحْلَ منها بطائل! إنما هو الجوهر يقوم بنفسه، والعرض لا يقوم بنفسه، ورأس الخط النقطة، والنقطة لا تنقسم، والكلام أربعة: أمر، وخبر، واستخبار، ورغبة، ثلاثة لا يدخلها الصدق والكذب، وهي: الأمر والاستخبار والرغبة، وواحد يدخله الصدق والكذب، وهو الخبر، والآن حد الزمانين، مع هذيان كثير!...ولقد بلغني أن قوماً من أصحاب الكلام سألوا محمد بن الجهم أن يذكر لهم مسألة من حد المنطق حسنةً لطيفةً! فقال لهم: ما معنى قول الحكيم: "أول الفكرة آخر العمل، وأول العمل آخر الفكرة"؟ فسألوه التأويل، فقال لهم: مَثَل هذا كمثل رجل قال: إني صانع لنفسي كِنّاً، فوقعت فكرته على السقف، ثم انحدر فعلم أن السقف لا يكون إلا على حائط، وأن الحائط لا يقوم إلا على أُس، وأن الأُس لا يقوم إلا على أصل، ثم ابتدأ في العمل بالأصل، ثم بالأس، ثم بالحائط، ثم بالسقف؛ فكان ابتداء تفكره آخر عمله، وآخر عمله بدء فكرته! فأية منفعة في هذه المسألة؟! وهل يجهل أحد هذا حتى يحتاج إلى إخراجه بهذه الألفاظ الهائلة؟!))[٨] ولم يكن ابن قتيبة ينطلق من موقف الرفض للانفتاح على الثقافات والعلوم الأخرى ومنها علم المنطق، ولكنه كان يشير إلى ظاهرة سلبية تتمثل في طريقة التعامل مع هذه العلوم الوافدة، كما أننا لا ندعو إلى الانغلاق أمام النظريات اللغوية الغربية، ومنها الأسلوبية؛ فالبلاغة العربية فتحت نوافذها منذ بدايات نشأتها على تيارات ثقافية متعددة، كما يظهر بوضوح في كتاب البيان والتبيين للجاحظ الذي سرد، في سياق حديثه عن مفهوم البلاغة، أقوال الفرس، واليونان، والروم، والهنود[٩] وصار هذا الاتجاه هو الغالب على الدراسات البلاغية طيلة قرون من الزمان، لا تنتهي، من وجهة نظرنا على الأقل، عند القرن السابع أو الثامن، إذ قد يرى البعض أن السكاكي في القرن السابع أو القزويني في القرن الثامن يمثلان الحلقة الأخيرة في تطور البحث البلاغي، فالجمود الذي أصاب الحياة الفكرية والعلمية والثقافية في العالم الإسلامي عامة في القرون

التالية لا يعني انقطاع الأفكار والعلوم عن التطور إذا ما توفرت أسبابه وظروفه، وقد توفرت هذه الأسباب والظروف في النصف الأول من القرن الماضي، فظهرت أفكار جديدة في مجال البحث البلاغي، ومناهج جديدة في تناوله، تمثلت في مؤلفات مثل: كتاب الأسلوب للأستاذ أحمد الشايب، ودفاع عن البلاغة للأستاذ الزيات، وفن القول للأستاذ الخولي، ومما اتفقت عليه هذه المؤلفات الربط بين البلاغة والدراسات الأسلوبية في الغرب، وهذا يعني أن البلاغة ليست تراثاً منقطعاً عن حياتنا المعاصرة –كما يرى البعض– وإنما هي علم مناظر لعدد من العلوم اللغوية واللسانية في الغرب، ولكي تكون البلاغة كذلك يجب أن تتقبل التحديث وتنفتح على ما أنجزته الثقافات الأخرى في هذا المجال، وهذه هي جدلية هذا البحث الذي يحاول تلمس طريق وسط بين حالة الانكفاء على الذات واجترار التراث عند البعض، وحالة التبعية والانجرار وراء الثقافات الغالبة عند آخرين، ومن معالم هذا الطريق الوسط أنه ينطلق من التراث، ولا يتوقف عند حدوده، ويجمع بين المحافظة على التراث وبين التجديد، وهو كما نقل الدكتور شكري محمد عياد عن أستاذه أمين الخولي: ((إن أول التجديد قتل القديم فهماً))[١٠] لا قتله تجاهلاً وجحوداً، كما يفعل البعض حين ينطلقون من النظريات الغربية ويقدمونها بوصفها مبتكرات لا سابقة لها، ويترجمونها لنا بألفاظ ومصطلحات هائلة! تفوق ما تحدث عنه ابن قتيبة، كالتحويلية والتوليدية، والأسلوبية، والبنيوية، وغيرها، فإذا طالعها الباحث، وحقق في حقيقة مدلولاتها، لم يَحْلَ منها بطائل، كما قال؛ لأنها تعيد صياغة أفكار مطروقة معروفة، أو تتحدث عن بديهيات لا يجهلها أحد.

البلاغة بين التخييل والإقناع:

ثمة حدود فاصلة بين ما هو تخييلي وما هو إقناعي، وما هو شعري وما هو خطابي، أو بين الشعرية والتداولية، وفي النتيجة بين خطابين متغايرين متمايزين: أحدهما: الخطاب الأدبي الفني، والآخر: الإقناعي الحجاجي، وثمة تساؤل بعد ذلك عن موقع البلاغة بين هذه الثنائيات المتقابلة؟ لا يتردد الغربيون في وضع البلاغة إلى جانب الخطاب والحجاج والإقناع؛ بناء على مفهومهم للبلاغة، وهو مفهوم استمدوه من تراث البلاغة اليونانية الذي ينطلق من الخطابة ويدور حول قضاياها، بل البلاغة عندهم هي الخطابة، أو الريطوريقا في الترجمات العربية القديمة، و"Retoric" في اللغات الأوربية الحديثة، والقضية الأساسية التي نطرحها للنقاش في هذا الصدد أن معظم الدارسين الذين تعرضوا لموضوع العلاقة بين البلاغة والأسلوبية إنما استوحوا هذا المفهوم الغربي للبلاغة؛ لأن الأسلوبية بأوصافها المتعددة، وريثاً جديداً للبلاغة القديمة، أو حقلاً مبتكراً من حقول علم اللغة أو اللسانيات، أو منهجاً مستحدثاً من مناهج النقد... نبتت في بيئة غربية، ولأن المقاربات الأولى بينها وبين البلاغة، جرت في تلك البيئة، وما يؤسف له أن دارسينا نقلوا هذه الدراسات الغربية، مترجمين لها، أو محتذين أثرها، إلى ساحة اللغة العربية، وعدّوا ذلك صورة من صور الحداثة، بل فتحاً عظيماً في الدراسات اللغوية والنقدية، من غير أن يبذلوا جهدهم في التحقيق في شأن هذه المفاهيم الوافدة، ومقارنتها بما يناظرها في تراث اللغة العربية وعلومها وآدابها.

فالغربيون حين يتحدثون عن البلاغة، إنما يقصدون البلاغة اليونانية، التي تعني فن الإقناع عند أرسطو؛ إذ كانت البلاغة تدور في إطار فن الخطابة القائم على الحجاج والإقناع، ويؤكد "بيير جيرو" هذا المفهوم اليوناني للبلاغة بقوله: ((ولدت البلاغة في اليونان، وكانت عبارة عن فن يستخدم لتأليف خطاب يلقى على الخشبة، أو على المنبر...))[١١] وانبثق من هذا المفهوم اليوناني للبلاغة فارق آخر بينها وبين الأسلوبية الحديثة، هو استناد البلاغة على اللغة المنطوقة الفصيحة، في الخطابة، واعتماد الأسلوبية على اللغة المكتوبة باعتبار جذرها اللاتيني الدال على فن الكتابة[١٢].

وبناء على هذا فإن كثيراً من النقد الذي وجِّه إلى البلاغة القديمة، في سياق الدراسات الأسلوبية بخاصة، إنما يقصد به البلاغة اليونانية، التي وصفها مؤلفو كتاب "البلاغة العامة"، على سبيل المثال بأنها ((لم تتكون من معطيات متماسكة منسجمة، وأنها كانت تهدف أساساً إلى الإقناع، فالحجة والسامع يمثلان فيها عنصرين أساسيين؛ لذا فقد تقاسمتها نزعتان: النزعة المنطقية، والنزعة الجمالية، وعرفت بأنها "الكلام الجيد الرامي إلى الإقناع"))[١٣].

ويؤكد "جورج مولينيه" كذلك على توفر البلاغة على نزعتين: منطقية، وجمالية؛ إذ يقسم البلاغة إلى ثلاث بلاغات: إقناعية، وإنشائية ، ونمطية، والضرب الأخير في نظره ظهر على هامش الضربين الأولين الأساسيين، وقد لفظ أنفاسه الأخيرة، والبلاغة الإقناعية سمتها خطابية، وانبثقت منها التداولية، والإنشائية سمتها جمالية، وانبثقت منها الأسلوبية[١٤] ولا شك أن البلاغة العربية–في ضوء هذا التصنيف– تنتمي إلى الصنف الثاني الذي تمتد في ثنايا مباحثه وقضاياه جذور الأسلوبية.

ذلك أن البلاغة العربية كانت تعالج فن الشعر، ولا يخفى الفرق البيِّن بين طبيعتي الشعر والخطابة، وموقعهما من فن الأدب، وهو ما انعكس على طبيعة القضايا التي طرحت في هذين المجالين المختلفين؛ فالشعر، ويشترك معه النثر الفني، يغذي قوة الانفعال والعاطفة لدى الإنسان، فيرتقي بمشاعره، ويشحذ خياله، ويسمو بذوقه الجمالي، في حين أن الخطابة تخاطب وجدان الإنسان، وتوقظ مداركه، لتصل من خلال ذلك إلى تقوية إرادته على تنفيذ الأفكار والمعتقدات التي تستهدف الخطابة إيصالها إلى المخاطبين، فالتأثير هنا وسيلة للإقناع، ودافع للتنفيذ، بعد تحقق هذا الإقناع، وفي الشعر غايته الإمتاع بالدرجة الأولى[١٥].

وممن وقفوا عند هذا الفارق بين الخطابة والشعر من القدماء حازم القرطاجنّي(ت٦٨٤هـ) إذ عقد لذلك فصلاً أكد فيه أن صناعة الشعر تقوم على التخييل، في حين تقوم صناعة الخطابة على الإقناع، ولم يكتفِ بذلك بل فرق بين طبيعة الشعر اليوناني القائمة على الأساطير والأوهام، والشعر العربي الذي تضمن تجارب حياتية حقيقية، وانطوى على ضروب من ((الإبداع في فنون الكلام لفظاً ومعنى)) والتبحر في أصناف المعاني، وحسن التصرف فيها، وسجل ملاحظته على تراث أرسطو في هذا المجال بقوله: ((ولو وجد هذا الحكيم أرسطو في شعر اليونانيين ما يوجد في شعر العرب...لزاد على ما وضع من القوانين الشعرية)) وذكر تعليقاً لابن سينا على كتاب أرسطو "فن الشعر" بعد فراغه من تلخيصه، يبين

طريقة تعامل الفلاسفة المسلمين مع التراث اليوناني الذي كان يفرض نفسه بقوة على الساحة الفكرية والعلمية آنذاك، وله صلة بموضوعنا في طريقة التعامل مع الوافد الغربي اليوم، يقول: ((هذا هو تلخيص القدر الذي وجد في هذه البلاد من كتاب الشعر للمعلم الأول... ولا يبعد أن نجتهد نحن فنبتدع في علم الشعر المطلق، وفي علم الشعر، بحسب عادة هذا الزمان، كلاماً شديد التحصيل والتفصيل))[١٦] والتحصيل بلغة القدماء يعني التحقيق والإبداع والابتكار، ويعدّ القرطاجني كتابه استجابة لرغبة ابن سينا هذه، ودعوته إلى الاجتهاد والإبداع[١٧].

***

فصورة البلاغة إذن ومفهومها عند الغربيين غير صورتها ومفهومها في تراث اللغة العربية؛ للاعتبارات التي أشرنا إليها، ويترتب على هذا الاختلاف تباين في المسافة الفاصلة بينهما وبين الأسلوبية الحديثة، ومع ذلك فالبلاغة مطروحة بقوة في الدراسات الغربية إلى جوار الدراسات الأسلوبية، ومن خلالها، فهم يرون أن البلاغة تحيا من جديد، وأن الأسلوبية الحديثة لا تستغني عن الكثير من مفاهيمها، والأسلوبيون يتوهمون إذا اعتقدوا أن أسلوب الكتاب المحدثين لا يخضع لمقولات البلاغة![١٨]، يقابل ذلك جحود عند بعض دارسينا لمنجزات البلاغة العربية التي وصفها بعضهم بأنها عجوز((أدركها سن اليأس وحكم عليها تطور الفنون والآداب الحديثة بالعقم))[١٩] فقد اتجه الباحثون الغربيون إلى إعادة الاعتبار للبلاغة وتراثها اليوناني، ومن هؤلاء في ألمانيا "دوكهون" الذي ((أسس لعلم جمال بلاغي قادر على التأثير، و"كورتيوس" بتبريره للتعليل التاريخي للمعاني المشتركة، و"لوسبيرك" بوضعه مخططاً نسقياً واسعاً للبلاغة اعتماداً على نتائج جهود الكلاسيكيين))[٢٠] وقد لاحظ "هنريش بليث" ((كثرة مفرطة من الأعمال المرصودة للبلاغة، تنظيراً وتأريخاً في أوربا والولايات المتحدة في وقت واحد...))[٢١] وفي الوقت الذي ينعى فيه بعض الحداثيين عندنا البلاغة ويعلنون موتها[٢٢] نجد أقطاب الحداثة الغربية، أمثال "بارت" و"جينيت" و"كونتز" و"فاركا" و"تودوروف" يبشرون ببلاغة جديدة، ويعملون على ((أن يجعلوا من البلاغة مبحثاً علمياً عصرياً))[٢٣] فرولان بارت، وهو أحد أعمدة الحداثة الغربية ((ينشر فصلاً عن بلاغة الصورة، ويصرح في هذا الفصل بأنه بصدد التفكير في البلاغة حسب النظرة الهيكلية، وهذا أحد أقطاب النقد الحديث "جيرار جينات" يعتمد في بعض فصوله على عدد من المؤلفات البلاغية القديمة لدراسة ما سماه بـ"فضاء اللغة"))[٢٤] و((أسست "جمعية للبلاغة والأسلوب" في نطاق الاتحاد الدولي لعلوم اللغة التطبيقية، كما أُنشئت "الجمعية الدولية لتاريخ البلاغة" وشرعت في نشر مجلتها الدورية منذ ١٩٧٨م، وتنشر "جمعية البلاغة في أمريكا" دوريتها منذ عام ١٩٧٦م، كما عقدت الندوات والمؤتمرات المتعددة لمناقشة قضايا البلاغة الحديثة وعلم الأسلوب بشكل منتظم في السنوات الأخيرة))[٢٥] فعلى المسار الأوربي- كما يرى الدكتور بسام قطوس- ثمة اعتقاد علمي راسخ بأن الأسلوبية انطلقت من رحم البلاغة بأصولها الأرسطية القديمة، وينسب إلى جورج مونيه قوله: ((في البدء كانت البلاغة))[٢٦].

وكتاب "البلاغة والأسلوبية" لهنريش بليث يندرج ((ضمن مشروع كبير لبناء بلاغة عامة جديدة تستوعب إنجازات البلاغة القديمة، وتستفيد من اجتهادات الأسلوبية الحديثة...)) كما تحدث عنه الدكتور محمد العمري في مقدمة ترجمته، والبلاغة عنده هي بلاغة عصر النهضة الأوربية، التي تعتمد المفهوم اليوناني –كما ذكرنا– فهو يفرق، منذ البداية، بين الشعرية البلاغية التي تهتم بالإقناع، وشعرية الأسلوب التي تعالج أدبية النص، وتتلازم مع جمالية اللغة، ونظرية الأسلوب–كما يقول– تزهد في عنصر التأثير الذي هو من سمات البلاغة، أو الخطابة!، وهي بذلك تتعارض مع البلاغة التي تسعى إلى الإقناع عن طريق الاحتجاج![٢٧] وهذا الفارق لا وجود له إذا تحدثنا عن البلاغة العربية التي انصب اهتمامها على اللغة الشعرية، وجمالية التعبير، ولم تعتنِ بما يقول الشاعر قدر اهتمامها بالكيفية التي قال بها.

وتحت عنوان: "البعد التداولي للبلاغة" يذكر ثلاثة أنماط أساسية من المقصدية: أحدها المقصدية الفكرية، ولها ثلاثة أغراض: الغرض التعليمي، كما في النصوص العلمية والإخبارية، والغرض الحجاجي الذي يخاطب العقل، ويتوسل بالمنطق، والغرض الأخلاقي، ويتضمن عناصر تعليمية واحتجاجية، وهذا المقصد بأغراضه الثلاثة يكاد يختص بالخطابة، والمقصدية العاطفية، بنوعيها المعتدلة والعنيفة، أو التهييجية، من القضايا والمقاصد الخاصة بالخطابة أيضاً، وهو يشير إليها بوضوح[٢٨] وحين يتحدث عن مفهوم مقام الخطاب الذي تقوم عليه النظرية التداولية، يذكر مقام الخطاب القضائي، والتشاوري والاحتفالي، وهي حالات ومصطلحات تتعلق بفن الخطابة الذي انبثقت منه البلاغة اليونانية، وليس هذا مفهوم المقام في البلاغة العربية التي تداولت هذا المصطلح منذ أن دون بشر بن المعتمر صحيفته الشهيرة التي نشرها الجاحظ في "البيان والتبيين" حيث تحدث فيها عن طبقات من الكلام تتناسب مع طبقات من الناس، وذكر أوصافاً للفظ وما يناسبها من المقامات[٢٩] إلى أن جاء الخطيب القزويني فبلور الفكرة، وصاغها بقوله: ((فإن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التنكير يباين مقام التعريف، ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد، ومقام التقديم يباين مقام التأخير، ومقام الذكر يباين مقام الحذف، ومقام القصر يباين مقام خلافه، ومقام الفصل يباين مقام الوصل، ومقام الإيجاز يباين مقام الإطناب والمساواة، وكذا خطاب الذكي يباين خطاب الغبي، وكذا لكل كلمة مع صاحبتها مقام...)) وهي مقامات لغوية وثيقة الصلة باللغة الفنية وأساليبها في التعبير، وربط ذلك كله بفكرة النظم الجرجانية، إذ قال في السياق نفسه: ((وهذا هو الذي يسميه الشيخ عبد القاهر بالنظم...))[٣٠] وهو بذلك يحيل إلى نظرية متكاملة في التحليل اللغوي للأسلوب، والخصائص الفنية والجمالية التي تؤدي إليها مراعاة هذه المقامات التي أشار إليها القزويني، وهي مفصلة تنظيراً وتطبيقاً في "دلائل" الجرجاني و"أسراره"، وأهم ما قدمه الجرجاني في هذين الكتابين تفجير طاقات اللغة التعبيرية بوقفاته البارعة عند الصور البيانية التي تتجاوز الدلالات الوضعية للكلمات إلى دلالات مجازية، والخصائص التعبيرية للتراكيب اللغوية حين يتصرف البليغ في نظمها، تقديماً وتأخيراً، وحذفاً وذكراً، وتنكيراً وتعريفاً... أو إيرادها على غير ظاهرها المألوف، لما تقتضيه مقامات الكلام وأغراضه، وهذه هي الإمكانات الأسلوبية التي ذكرها "گراهم هاف" وهو يعرف بمدرسة بالي

الأسلوبية، يقول: ((لقد كان بالي وأتباعه مهتمين بتأسيس نظام عام للإمكانات الأسلوبية التي يمكن تطبيقها في كل عمل أدبي، وكذلك يمكن تطبيقها في جميع أنماط التعبير اللفظي، وقد كان عماد نظامهم إقامة قاعدة يمكن قياس الانحرافات الأسلوبية بموجبها))[٣١] فالبلاغة في كل إجراءاتها في التعامل مع النص، أو التعبير تحاول رصد السمات الأسلوبية في اللغة الفنية التي تخرج على المواضعات اللغوية في المفردات والتراكيب، كالخروج على الدلالة اللغوية في مباحث المجاز، أو التصرف في عناصر الجملة في الحذف والذكر، أو الخروج على الدلالات الظاهرية المباشرة للتراكيب في مباحث الخبر والإنشاء، والكناية، وهو ما أطلقت عليه الأسلوبية الحديثة مصطلح الانزياح، أو تغيير نظام الرتب النحوية في مباحث التقديم والتأخير، وهو ما يعرف في الأسلوبية بانزياح التوزيع، أو العلاقات الركنية[٣٢] وهذا كله يندرج في مفهوم أسلوبية التعبير التي تنسب إلى "شارل بالي" والذي عرفها بقوله: ((هو العلم الذي يدرس وقائع التعبير اللغوي من ناحية محتواها العاطفي؛ أي التعبير عن واقع الحساسية الشعورية من خلال اللغة، وواقع اللغة عبر هذه الحساسية))[٣٣] إذ لا شك أن ما فعله الجرجاني وغيره من البلاغيين، لا يخرج عن دراسة وقائع التعبير اللغوي، بحسب تعريف بالي، غير أن البلاغة تدرس هذه الوقائع التعبيرية، من ناحية مطابقتها لمقتضى الحال، وأسلوبية بالي تدرسها من ناحية محتواها العاطفي، والفرق بين الحالتين أن مقتضى الحال أعم بكثير من المحتوى العاطفي، ويتسع لجميع الوقائع التعبيرية التي يتناول تعريف بالي بعضها أو جانباً منها، ولعل هذا ما قصده عدنان بن ذريل بقوله: ((إن البلاغة كمصطلح فني أدبي حديث تشمل الأسلوب وعلمه، إلا أنها إلى جانب ذلك تتضمن الطاقة الأدبية أو الملكة أو المقدرة على التعبير عند الأديب، كما أنها تقصدها؛ وبذلك هي تتميز عن مصطلح أسلوب أو علم أسلوب...))[٣٤] وهذا ما لاحظه تلامذة بالي وغيرهم من الأسلوبيين الذين أخذوا عليه تضييقه لمفهوم الأسلوب، واستدركوا عليه استدراكات مهمة تعد جزءاً من مفهوم أسلوبية التعبير.

ويذكر "گراهم هاف" تعريفاً آخر للأسلوبية عند بالي هو ((دراسة العناصر المؤثرة في اللغة))[٣٥] وهي بهذا التعريف كذلك لا تخرج عن إطار البلاغة بمفهومها العربي.

وهذه العلاقة بين الأسلوبية الحديثة ومباحث البلاغة، وموضوعها، وحدِّها، وفكرة النظم التي هي صورة من صور التعبير عنها، يؤكدها باحثون ترسخت معرفتهم بالبلاغة العربية، وعنوا في الوقت نفسه بالنظريات الأسلوبية الحديثة، من هؤلاء، على سبيل المثال، الدكتور شكري عياد إذ يقول في مقدمة أحد كتبه عن الأسلوب: ((...ولكنني إذ أقدم إليك هذا الكتاب لا أغريك ببضاعة جديدة مستوردة؛ فعلم الأسلوب ذو نسب عريق عندنا، لأن أصوله ترجع إلى علوم البلاغة))[٣٦] ومنهم الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي وشريكاه في تأليف كتاب "الأسلوبية والبيان العربي" فهم يقررون في صفحاته الأولى: ((أن الأسلوبية المعاصرة لا تكاد تختلف في كثير عن نظرية النظم العربية التي وضع أصولها الإمام عبد القاهر الجرجاني في كتابه النفيس "دلائل الإعجاز" وحين صاغ عبد القاهر آراءه في النظم لم يكن يبعد عن فكرة اختلاف الأسلوب باختلاف ترتيب الكلام، وجعل بعضه بسبب من بعض... فعبد القاهر بذلك

يعد أول باحث عن بلاغة الأسلوب، وألوانه وخصائصه...))[٣٧] وفي الاتجاه نفسه يقول الدكتور محمد عبد المطلب: ((...ويكاد عبد القاهر يتوافق مع الأسلوبيين المحدثين في كثير من مباحثه، وخاصة في الإمكانات الاستبدالية، والقدرة التوزيعية، وفي مقولتهم عن انتهاك اللغة وانحرافها عن النمط المعروف))[٣٨] ويقول في موضع آخر: ((بل إن مفهوم النظم عند عبد القاهر يتساوى تماماً مع مفهوم الأسلوب))[٣٩] وحاول هذا البحث أن يقدّم مقاربة أكثر دقة بين البلاغة العربية والأسلوب العربي والأسلوبية الحديثة.

الأسلوب: الموروث والوافد

الأسلوب كلمة عربية مستقرة في معظم المعاجم العربية، ولها دلالتها الاصطلاحية الواضحة في كتب الأدب والنقد والبلاغة، ولكن ما ليس واضحاً تماماً هو علاقة المعنى اللغوي بالمعنى الاصطلاحي، وعلاقة كلمة أسلوب الدالة على الطريق والمذهب والفن بمادة "سلب" التي أدرجت فيها في المعاجم اللغوية، والدلالة الحقيقية والمجازية في استعمال هذه الكلمة، فضلاً عن الدلالة الاصطلاحية التي هي غاية هذا البحث، فمعاجم الألفاظ العربية أجمعت على وضع كلمة "أسلوب" في مادة "سلب"، من غير أن تشير إلى أية علاقة دلالية بين هذه المادة بمعناها المعروف، وكلمة الأسلوب التي تدل على الطريق والوجه والمذهب والفن ، ومن غير أن تميز بين الدلالة الحسية لكلمة الطريق، أو الطريق الممتد، ومنها قولهم: وكل طريق ممتد فهو أسلوب[٤٠] وبين الدلالة المعنوية في قولهم: وسلكت أسلوب فلان أي طريقته، وكلامه على أساليب حسنة[٤١] وأخذ فلان في أساليب من القول، أي فنون منه[٤٢] بل قالوا: ((ومنه أساليب الشعر ومذاهبه))[٤٣] وهي بذلك تقترب كثيراً من الدلالة الاصطلاحية، ولم أجد أحداً ربط بين كلمة أسلوب وها من الكلمات المشتقة من مادة "سلب" سوى "أبي البقاء العكبري" الذي نص على هذه العلاقة بقوله: ((كل شيء امتد فهو أسلوب، وكأنه "أُفعول" من السلب؛ لأنه لا يخلو من المد))[٤٤] وهي كما ترى علاقة واهية، ولا نرى وجهاً لوجود كلمة "أسلوب" في مادة "سلب" سوى طبيعة اللغة العربية ومعاجمها التي رتبت مادتها على أساس الجذور الثلاثية للألفاظ، فهذه الكلمة على وزن أُفعول، وهذا يعني –بحسب النظام المعجمي العربي– أن السين واللام والباء هي فاء الكلمة وعينها ولامها، ويؤكد ما نقوله أن "ابن سيدة" في "المخصص" ذكر كلمة أسلوب في "نعوت الطريق"[٤٥] من دون أية إشارة إلى "سلبَ" ومشتقاتها، لأن معاجم المعاني غير معنية بجذور الألفاظ.

ويرى بعض الدارسين أن ((كلمة الأسلوب في العربية مجاز مأخوذ من معنى الطريق الممتد، أو السطر من النخيل))[٤٦] ويؤكد آخر هذه ((الصلة الوثيقة بين المعنى الوضعي الحقيقي لكلمة الأسلوب، وهو السطر من النخيل، والطريق الممتد، وبين المعنى أو المعاني الاصطلاحية... فكما أن السطر من النخيل يأخذ شكلاً معيناً: مستطيلاً أو دائرياً، وكذلك الطريق الممتد على الأرض، كالطرق الصحراوية، والشوارع، فإن الأسلوب الفني شبيه بهما...))[٤٧] غير أن المعاجم اللغوية ذكرت هذه الدلالات مجتمعة، ومن المعروف أن هذه المعاجم لا تُعنى بالدلالات المجازية، ولا تذكرها، بل إن الإمام الزمخشري الذي

عني بالدلالات المجازية للألفاظ جعل قولهم: ((وسلكت أسلوب فلان: طريقته، وكلامه على أساليب حسنة)) من الحقيقة ((ومن المجاز...يقال للمتكبر: أنفه في أسلوب، إذا لم يلتفت يمنة ولا يسرة))[٤٨] ويمكن القول بعد هذا العرض لدلالات كلمة الأسلوب، أن دلالتها الاصطلاحية ولدت في محيط اللغة، وفي بطون المعاجم اللغوية، ولا يكاد الباحث يجد فرقاً بين دلالتها اللغوية ودلالتها الاصطلاحية، فمؤلفو "المعجم الوسيط" لم يجدوا ضيراً أن يضيفوا إلى دلالاتها السابقة: ((طريقة الكاتب في كتابته)) وهو ما يعد إلى اليوم تعريفاً اصطلاحياً للأسلوب؛ ولذلك أيضاً نجد كلمة الأسلوب في صورتها الاصطلاحية في مراحل مبكرة من التأليف في شؤون الأدب والنقد والبلاغة، فهذه الصورة واضحة تماماً عند "ابن قتيبة" (ت٢٧٤هـ) على سبيل المثال، حين يتحدث عن ((مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب)) إذ يزيد ذلك إيضاحاً بقوله: ((فالخطيب من العرب إذا ارتجل كلاماً في نكاح أو حَمالة أو تحضيض أو صلح، أو ما أشبه ذلك، لم يأتِ به من واد واحد، بل يفتن فيختصر تارة إرادة التخفيف، ويطيل تارة إرادة الإفهام، ويكرر تارة إرادة التوكيد، ويخفي بعض معانيه، حتى يغمض على أكثر السامعين، ويكشف عن بعضها حتى يفهمه بعض الأعجمين، ويشير إلى الشيء ويكني عنه، وتكون عنايته بالكلام على حسب الحال، وكثرة الحشد، وجلالة المقام.))[٤٩] إن هذا الكلام لو أتيح له أن يُشرح ويُبسط بلغة عصرنا، لأتى شرحه على فكرة المقام، ومطابقة الكلام لمقتضى الحال، الذي صار فيما بعد حدّاً للبلاغة، ولأحاط بكثير من تعريفات الأسلوب ومفاهيمه واتجاهاته عند رواد الأسلوبية المعاصرين، فهو يشير بوضوح إلى عناصر الأسلوب التي لخصها الأستاذ "أحمد الشايب" بقوله عن الأسلوب: ((هو طريقة التفكير والتصوير والتعبير))[٥٠]

والذي يتضح لنا أن اللغة العربية وضعت كلمة أسلوب للدلالة على فن القول، وطرائقه ومذاهبه، كما وضعته للطريق، أما السطر من النخيل، فهو جزء من دلالات الطريق، لأن السطر المستوي من النخيل كان يسمى طريقاً[٥١]، ولم ترد تسميته بالأسلوب إلا في لسان العرب لابن منظور (ت٧١١هـ) ونقل عنه صاحب تاج العروس من جواهر القاموس(١٢٠٥هـ) وهما من المعاجم المتأخرة، وأغرب ما في الأمر أن الدكتور "عبد السلام المسدي" عدّ كلمة أسلوب ترجمة لكلمة "style" ذات الأصل اللاتيني، وهذا نص كلامه: ((...فسواء انطلقنا من الدّال اللاتيني وما تولد عنه في مختلف اللغات الفرعية، أو انطلقنا من المصطلح الذي استقر ترجمة له في العربية!...))[٥٢] ويقصد كلمة أسلوب.

وإذ ترجح لدينا أن دلالة كلمة أسلوب، بمعانيها الاصطلاحية التي أشارت إليها المعاجم العربية، دلالة وضعية، نقف عند دلالة الكلمة المقابلة لها في اللغات الأوربية، والتي تنحدر من الجذر اللاتيني (stilus) وهو يعني "المِثقب" الذي كان يستخدم في الكتابة[٥٣] أو القلم[٥٤] أو "الريشة" المستخدمة للغرض نفسه ((ثم انتقل عن طريق المجاز إلى مفهومات تتعلق كلها بطريقة الكتابة... ثم أخذ يطلق على التعبيرات اللغوية الأدبية.))[٥٥] وهذا يعني أن الكلمة ليس لها امتداد إغريقي، والكلمة المشابهة لها في الإغريقية (stylos) تعني العمود، ولا علاقة لها بمفهوم الأسلوب، على الرغم من أن اللغات الأوربية

كالإنجليزية مثلاً استخدمت كلمة (style) القريبة من اللفظ الإغريقي، للإيهام بانتساب الكلمة إلى أصل إغريقي لا لاتيني[٥٦] وما يجدر ذكره أن كلمة أسلوب وردت في مواضع كثيرة من كتاب "الخطابة" لأرسطو، بحسب ترجمة الدكتور "عبد الرحمن بدوي" فهو يرى أن كلمة "مقالة" في الترجمة العربية القديمة تعني الأسلوب[٥٧] ولا نعرف الجذر اليوناني للكلمة ودلالتها الدقيقة، سوى أن الدكتور "صلاح فضل" يذكر أن أرسطو ((يستخدم Lexis أي لغة أو كلمة مقابل Taxis أي نظام التي تترجم عادة بقول أو أسلوب))[٥٨] وكلمة "قول" قريبة من الترجمة العربية "مقالة" ولكنها بعيدة عن دلالة كلمة "أسلوب" أما كلمة "نظام" فربما كانت قريبة من كلمة "نظم" العربية، فالنظم عند الخليل مثلاً ((نظمك خرزاً بعضه إلى بعض في نظام واحد، وهو في كل شيء... والنظام كل خيط يُنظم به لؤلؤ أو غيره))[٥٩] والاستعمال المجازي نقلها إلى نظم الكلام، وسميت طريقة هذا النظم أُسلوباً بالمعنى العام للأسلوب، وهو الطريقة، مع ملاحظة أن النظم الاصطلاحي ينحاز إلى جانب اللغة، كما ينحاز الأسلوب الاصطلاحي إلى جانب الأدب، فالنظم بهذا الاعتبار وصف لغوي للظواهر الأدبية، والأسلوب وصف أدبي للظواهر اللغوية، غير أن هذا العموم اتسع لاستعمالات متعددة للأسلوب، فقد استعمله علماء الإعجاز بمعنى النوع الأدبي، إذ عدّوا النص القرآني أسلوباً مخالفاً لما كان معروفاً عند العرب من شعر وخطابة، وهذا ما عناه القرطبي – على سبيل المثال– بقوله في الوجه الثاني من وجوه الإعجاز عنده: ((الأسلوب المخالف لجميع أساليب العرب))[٦٠] وهذا مفهوم للأسلوب اتفق عليه علماء الإعجاز، وهو مخالف لقول الزمخشري في سياق آخر: ((إن القرآن إنما نزل بلغة العرب مصبوباً في أساليبهم واستعمالاتهم))[٦١] وأكد ذلك في موضع آخر بقوله: ((وما جاء القرآن إلا على طرقهم وأساليبهم))[٦٢] ولا شك أن هذين القولين المتعارضين يعبران عن مفهومين مختلفين للأسلوب، الأول يمثل رأي أهل الإعجاز المشار إليه، والثاني قريب مما ذكره ابن قتيبة عن مذاهب العرب وافتنانها بالأساليب، وهو المفهوم العام الذي استخدم في ميدان النقد الأدبي، أما قول الشيخ "الجرجاني" عن الأسلوب، في سياق كلامه عن الاحتذاء: ((واعلم أن الاحتذاء عند الشعراء، وأهل العلم بالشعر وتقديره وتمييزه، أن يبتدئ الشاعر في معنى له وغرض، أسلوباً– **والأسلوب الضرب من النظم والطريقة فيه**– فيعمد شاعر آخر إلى ذلك الأسلوب فيجيءَ به في شعره، فيُشبَّه بمن يقطع من أديمه نعلاً على مثال نعل قد قطعها صاحبها، فيقال: "قد احتذى على مثاله" وذلك مثل أن الفرزدق قال:

أترجو رُبيع أن تجيء صغارُها بخيرٍ، وقد أعيا رُبيعاً كبارُها

واحتذاه البُعيث فقال:

أترجو كُليب أن يجيءَ حديثُها بخيرٍ، وقد أعيا كُليباً قديمُها))[٦٣]

فيعبر عن مفهوم خاص آخر للأسلوب تداوله الباحثون في مجال السرقات الشعرية، ويتضح من الأمثلة التي ساقها أنه يقصد بالأسلوب تركيباً كلامياً يُنظم على نمط معين، فيتخذه شاعر آخر قالباً يصوغ كلامه على مثاله، وهذا ما سماه ابن رشيق بـ(الموازنة) في سياق حديثه عن المقابلة، فقال: ((...ومن

المقابلة ما ليس مخالفاً ولا موافقاً، كما شرطوا، إلا في الوزن والازدواج فقط، فيسمى حينئذ موازنة، نحو ... قول أبي الطيب:

نصيبُك في حياتك من حبيبٍ نصيبُك في منامك من خيال))[٦٤]

وعاد إلى ذكر (الموازنة) في باب "السرقات وما شاكلها" فقال: ((...فإن أخذ بُنية الكلمة فقط فتلك الموازنة، ومثل له بقول كثيِّر:

تقول مرضنا فما عدتنا وكيف يعود مريض مريضاً

وازن في القسم الآخِر قول نابغة بني تغلب:

بخلنا لبخلك قد تعلمين وكيف يعيب بخيل بخيلاً))[٦٥]

وأخرج السكاكي الموضوع من باب السرقات الشعرية، وأدرجه في باب البديع اللفظي، وسمّاه (الترصيع) وعرّفه بقوله: ((أن تكون الألفاظ مستوية الأوزان، متفقة الأعجاز، أو متقاربتها، كقوله عزّ اسمه:﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝٢٦ ﴾ الغاشية وقوله:﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝١٤ ﴾ الانفطار))[٦٦] وتعرض ابن أبي الإصبع العدواني(ت٦٥٤هـ) للموضوع نفسه، واستخدم مصطلحي الموازنة والمماثلة، وقال: ((...الفرق بين الموازنة والمماثلة التزام التسجيع في الموازنة، وخلوّ المماثلة عنه.))[٦٧] وهذا الذي ذكره الجرجاني بعنوان الأسلوب، وجعله ضرباً من النظم، وسماه غيره بالموازنة والترصيع والمماثلة هو عينه ما يسميه الأسلوبيون المعاصرون بـ (التوازي) وتعريفه عندهم: ((أن تنتمي جملتان إلى قالب واحد، وأن توازي كل كلمة في الأولى كلمة في الثانية، من حيث النوع الكلامي، مثل: يافع ويانع))[٦٨]

وتحدث ابن خلدون (ت٨٠٨هـ) عن الأسلوب في سياق آخر سماه "صناعة الشعر" ويقصد به فن الشعر كما هو معلوم، وقال عنه: ((لنذكر هنا الأسلوب عند أهل هذه الصناعة، وما يريدون بها في إطلاقهم، فاعلم أنها عبارة عندهم عن المنوال الذي تنسج فيه التراكيب، أو القالب الذي يفرغ به...)) وكلامه هذا يستدعي إلى الذهن كلام الجرجاني الآنف ذكره، فمنوال ابن خلدون وقالبه الذي يفرغ به التركيب قريب –للوهلة الأولى– من تشبيه الجرجاني في قوله: ((فيشبَّه بمن يقطع من أديمه نعلاً على مثال نعل قد قطعها صاحبها...)) ولكن المتأمل لشرح ابن خلدون لمراده من المنوال يجد مفهوماً آخر أعمق وأوسع للأسلوب، فهو عنده صورة ذهنية ((ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها، ويصيرها في الخيال كالقالب أو المنوال...)) وليس صوراً كلامية تُحاكى، وأنماطاً لغوية تُحتذى، كما يفيده تشبيه الجرجاني وتؤكده أمثلته، ويضيف ابن خلدون: ((إن مؤلف الكلام كالبناء أو النساج، والصورة الذهنية المنطبقة كالقالب الذي يُبنى فيه، أو المنوال الذي يُنسج عليه)) وأسلوبه ((هيئة ترسخ في النفس من تتبع التراكيب في شعر العرب لجريانها على اللسان حتى تستحكم صورتها، فيستفيدَ بها العملَ على مثالها، والاحتذاءَ بها في كل تركيب من الشعر)) وهي كذلك في المنثور، كما نص على ذلك، والهيئة الراسخة في النفس هي المُعبَّر عنها بالمَلَكَة، وهي التي تأتي في مرحلة لاحقة لتغذية الذهن بأنواعَ مختارة من

المحفوظات، بل بعد زوال أعيانها وبقاء أثرها بالنسيان ((فإذا نسيها، وقد تكيفت النفس بها، انتقش الأسلوب فيها كأنه منوال يؤخذ بالنسج عليه))[٦٩] وهذه هي الملكة الإبداعية التي تتشكل بأساليب مختلفة، بحسب استعدادات النفوس، وطبيعة الغذاء الذي تتلقاه.

وقدّمنا ابن خلدون لأهمية ما قاله في تقرير نظرية الأسلوب، وتحديد مصطلحه، ولفك الارتباط بين كلامه وكلام الشيخ الجرجاني، بما يضع حداً بين مفهومين متغايرين للأسلوب، فهو ينظِّر للأسلوب من وجهة نظر نقاد الأدب وصناع الكلام ومعاييرهم الفنية للإبداع مطلقاً من القيود التي استعمل بها عند غيرهم، فالإعجازيون تكلموا عن إعجاز القرآن خاصة، والجرجاني وغيره تكلموا عن أساليب النظم والموازنة والتماثل بينها في باب الاحتذاء، أو البديع، وقوله: ((الأسلوب عند أهل هذه الصناعة، وما يريدون بها عند إطلاقهم!)) يشير إلى تلك المفاهيم المقيدة.

وبعد، فما العلاقة بين البلاغة والأسلوب؟ وهل حسم ابن خلدون طبيعة هذه العلاقة، كما حسم القزويني العلاقة بين البلاغة والنظم حين وضعها في سياقها التراكمي الاستبدالي، فقال بعد أن عرّف البلاغة ووضح مفهومها: ((وهذا – أعني تطبيق الكلام على مقتضى الحال– هو الذي يسميه الشيخ عبدالقاهر بالنظم.))[٧٠] مستبدلاً البلاغة بالنظم؟ فلم نجد بعد ذلك من استعمل النظم عنواناً لعلم من علوم البلاغة.

ما مرَّ من وصف ابن خلدون للأسلوب، وأنه ((هيئة ترسخ في النفس من تتبع التراكيب في شعر العرب...)) موافق لتعريف القزويني لبلاغة المتكلم، وفصاحته، فكلاهما –عنده– ملكة، والهيئة الراسخة في النفس هي تفسير هذه الملكة[٧١] وبالمقاربة بين كلام ابن خلدون عن الأسلوب، وكلام القزويني عن البلاغة والفصاحة نستنتج أن ما أراده ابن خلدون بالأسلوب هو عين ما قصده القزويني ببلاغة المتكلم وفصاحته، وإذا كان الأمر كذلك، يتوجب طرح السؤال من جديد: ما توصيف العلاقة بين بلاغة المتكلم وبلاغة الكلام؟ وأين نضع بلاغة المتكلم وفصاحته من مباحث علم البلاغة وحدِّها المؤطِّر لها والذي هو تعريف بلاغة الكلام، ولا يتسع لبلاغة المتكلم؟ فالقزويني الذي وضع التصميم الأخير للبلاغة العربية اكتفى بتعريف بلاغة المتكلم وفصاحته، في مقدمة الإيضاح، وشرع في عرض مباحث علوم البلاغة التي هي تفصيل لبلاغة الكلام وطريقة مطابقته لمقتضيات الأحوال المتعلقة بالمخاطَبين، وجمع في هذا الإطار ما تفرق في مضانّ البلاغة ومصادرها مما أحاط به علمه، أما ما يتعلق ببلاغة المتكلم وملكته الإبداعية، ومنواله الأسلوبي الذي يعبر عن ذاته الإبداعية، فقد بقي مفرقاً في تلك المضانِّ، شأنه في ذلك شأن بلاغة الكلام، وهو بانتظار من يجمع متفرقه، ويؤلف بين أجزائه، ليضع لنا صورة متكاملة لنظرية الأسلوب العربي.

وقبل ابن خلدون تحدث القرطاجنّي عن مفهوم الأسلوب وميزه عن النظم الذي يتعلق بألفاظ اللغة وطريقة تأليفها، في حين يتصل الأسلوب بمقاصد الأديب وأغراضه، وهذا قول القرطاجنّي: ((لما كانت الأغراض الشعرية يوقع في واحد منها الجملة الكبيرة من المعاني والمقاصد...وجب أن تكون نسبةُ الأسلوب إلى

المعاني نسبةَ النظم إلى الألفاظ... فالأسلوب هيأة تحصل عن التأليفات المعنوية، والنظم هيأة تحصل عن التأليفات اللفظية.))[٧٢] فقد ربط القرطاجني بين الأسلوب وتعدد الأغراض والمعاني الشعرية، فجعل الأسلوب في كيفية معالجة الشعراء للأغراض الشعرية، وكيفية تناول المعاني التي تندرج تحتها، وتحدث القرطاجنّي بالتفصيل عن الأساليب في القسم الرابع من كتابه بمناهجه أو فصوله الأربعة، وافتتحه بقوله: ((القسم الرابع في الطرق الشعرية، وما تنقسم إليه، وما يُنحى بها نحوه من الأساليب))[٧٣] ولعل عبارة (المنازع الشعرية) التي استخدمها في هذا السياق أدق دلالة على الأساليب، إذ عرفها بقوله: ((المنازع هي الهيئات الحاصلة عن كيفيات مآخذ الشعراء في أغراضهم، وأنحاء اعتماداتهم فيها، وما يميلون بالكلام نحوه أبداً، ويذهبون به إليه...)) وقسم الشعراء إلى مبدعين رواد في أسلوبهم الشعري، ومحتذين متبعين لغيرهم، يقول: ((ومن الشعراء من يمشي على نهج غيره في المنزع، ويقتفي في ذلك أثر سواه، حتى لا يكون بين شعره وشعر غيره، ممن حذا حذوه في ذلك كبير ميزة، ومنهم من اختص بمنزع يتميز به شعره من شعر سواه، نحو منزع مهيار، ومنزع ابن خفاجة))[٧٤] ولو استبدلنا كلمة "أسلوب" بكلمة "منزع" لكان كلامه في صميم فن الأسلوب، إذ إن ما ذكره أهم معالمه، وأبرز ظواهره، فثمة حدود ومساحات ومستويات مشتركة بين الشعراء في نظمهم، والأدباء في تآليفهم، وأخرى يتبارون فيها ويتمايزون، ويزيد القرطاجني في بيان المنزع، بما يطابق بينه وبين الأسلوب، فيقول: ((وقد يُعنى بالمنزع أيضاً كيفية مأخذ الشاعر في بنية نظمه، وصيغة عباراته، وما يتخذه أبداً كالقانون في ذلك، كمأخذ أبي الطيب في توطئة صدور الفصول للحكم التي يوقعها في نهاياتها؛ فإن ذلك كلَّه منزع اختص به، أو اختص بالإكثار منه، والاعتناء به))[٧٥] فالمنزع عنده هو الأسلوب، وهو: ((لطف مأخذ في عبارات أو معان أو نظم أو أسلوب))[٧٦] وهذا المفهوم الواسع للأسلوب الذي أطلق عليه "المنزع" يحيط بكثير من مفاهيم الأسلوب عند القدماء والمحدثين، وإيراده الأسلوب باعتباره جزءاً من هذا المفهوم، كما هو ظاهر كلامه، لا ينفي هذه الحقيقة، بل يعني أن مصطلح الأسلوب عند القرطاجنّي لم يتضح بالدرجة التي اتضح فيها مفهومه، وقد نجد ذلك عند غيره أيضاً، ففي حين استخدم الأسلوب بشكل دقيق عند المقارنة بين أساليب الشعراء، نجد اضطراباً في تحديد علاقة المصطلح بمصطلحات أخرى أكثر شيوعاً ورواجاً، كالفصاحة والنظم، نجد ذلك عند الإمام الرازي مثلاً عند ذكره لوجوه الإعجاز، إذ يعد الفصاحة أول هذه الوجوه والأسلوب ثانيها، ويرجح الأول[٧٧] ويقرن الفصاحة بجزالة الألفاظ، والأسلوب بالنظم، وهي جميعاً تتعلق عنده باللفظ دون المعنى[٧٨].

يتبين من هذا العرض أن الأسلوب، مفهوماً ومصطلحاً حاضر في التراث البلاغي والنقدي العربي، ومنذ وقت مبكر، إذ بإمكان أي باحث تلمس هذا الحضور بوضوح في مجالات الشعر ونقده، وميدان الإعجاز القرآني بشكل خاص، ومن الباحثين من تتبع ذلك عند الجاحظ وابن قتيبة ومن جاء بعدهما، من لغويين ونقاد وبلاغيين ومتكلمين ومفسرين، في مشرق العالم الإسلامي ومغربه[٧٩] وفيه ما يدحظ رأي القائلين بحداثة علم الأسلوب، وانبثاقه من علم اللغة الحديث، أو ما يسمونه باللسانيات، فالأسلوب مقترن

بالبلاغة في التراث الإنساني عامة، وبعبارة الدكتور أحمد درويش: ((ليس هناك علم من العلوم التي تهتم بفنون التعبير، تمتد جذوره في تراث الإنسانية قدماً وشمولاً أكثر من علم البلاغة وفن البيان))[٨٠].

مع الأخذ بنظر الاعتبار استعمالات مصطلح الأسلوب ومفاهيمه المختلفة بحسب المجالات التي ذكرناها: مجال الإعجاز، ومجال الاحتذاء وعنوانه العام "السرقات الشعرية"، ومجال البديع، ومجال النقد والأدب؛ فالأسلوب عند الإعجازيين يدل على النوع الأدبي، فالشعر عندهم أسلوب من القول، وأدب الرسائل أو الخطب أساليب متنوعة، ومن هنا ردّوا أن يكون القرآن معجزاً بأسلوبه بهذا المعنى، واختاروا النظم ورجحوه من بين وجوه الإعجاز، والأسلوب كذلك يطلق بمعناه العام على طرق التعبير وفنونه، من إنشاء وخبر، وحقيقة ومجاز، واستعارة وكناية، وفي هذا السياق رأوا أن القرآن جاء على طرق العرب وأساليبهم في الكلام[٨١] فالأسلوب هنا يرادف النظم، أما المعنى الأخص من النظم الذي قصده الجرجاني بقوله: ((والأسلوب الضرب من النظم والطريقة فيه...)) فهو قريب من التوازي الأسلوبي عند الأسلوبيين المعاصرين.

وللأدباء والنقاد – كما ذكرنا– مفهوم أعم للأسلوب ميزوا على أساسه بين أساليب الشعراء، كما ميز "ابن الأثير" مثلاً بين أسلوب جرير، في تصرفه وتنوعه، وأسلوب الفرزدق الذي يجري على نمط واحد[٨٢]، وهذا هو فن الأسلوب العربي الذي تمتد جذوره في حقول إعجاز القرآن، والبلاغة، والشعر والأدب والنقد، ويُعنى بالكلام البليغ، أو النص الأدبي، ويكشف عن خصائصه الفنية، ليضعه في مكانه من الفن والأدب، وما يعرف اليوم بعلم الأسلوب، لا يخرج عن هذا الإطار، وما يكتنف هذا العنوان، عند الغربيين من غموض أحياناً، ومبالغات في اتجاه من اتجاهات الأسلوب أحياناً أخرى، هو الذي يدعو البعض إلى التهويل من شأنه، فالغموض يجذب إليه البعض جذباً، ويعطل القدرة على التفكير عند آخرين، وهذه الحالة متكررة في كثير من الأجيال والثقافات، ولكن هذا الغموض كثيراً ما يندثر لعدم قدرته على الانكشاف، ومواجهة الواقع والحقيقة، وهذا شأن كثير من نظريات الحداثة الغربية في هذا العصر، التي تعلو كأمواج المد ثم سرعان ما تنحسر وتضمحل في موجات المد التي تليها باستمرار، فتعريف بالي للأسلوبية ((لم يُقبل قط من قبل معاصريه، أو من قبل خلفائه المباشرين))[٨٣] وأفكاره التي عدت تأسيساً لعلم الأسلوب في مطلع القرن الماضي رفضها تلامذته، ومنهم "مارسيل كريسو" الذي نقد مبررات أستاذه في عزل الأدب عن علم الأسلوب، ورأى ((أن العمل الأدبي هو ميدان علم الأسلوب بلا منازع))[٨٤] فهدم بذلك جداراً وهمياً أقامه بالي بين علم الأسلوب والأدب من جهة، وبينه وبين البلاغة من جهة أخرى؛ إذ من المعروف أن البلاغة موضوعها الكلام البليغ الذي يعني اللغة الفنية وأساليبها التعبيرية، وكثر الحديث بعد ذلك عن الأسلوب وتعددت مفاهيمه وتعاريفه، وصارت الأسلوبية ((أسلوبيات كثيرة قد تصل إلى حد التنافر))[٨٥] وحاول بعض الدارسين للأسلوبية أن يصنفوا جهود الأسلوبيين الغربيين في اتجاهات ومناهج أساسية، نحاول هنا استعراضها متوسمين ملامح البلاغة فيها وأهمها:

أولاً: الأسلوبية الوصفية، أو أسلوبية التعبير التي وضع أسسها بالي، وتطورت فيما بعد واتسع مفهومها، إذ لم يكن بالي يقصد بأسلوبيته سوى المضامين الوجدانية لمفردات اللغة وقواعدها، وهذا المفهوم الضيق للوجدانية ((دعا بالي نفسه إلى تغييره بمفهوم التعبيرية لاحقاً))[٨٦] ولكن الأسلوبية ظلت ((كما صممها بالي تعبيرية بحتة، ولا تعني إلا الإيصال المألوف والعفوي، وتستبعد كل اهتمام جمالي أو أدبي، والأسلوبية توسعت فيما بعد فشملت دراسة القيم الانطباعية، والتعبير الأدبي))[٨٧] وتم ذلك على يد أسلوبيين أمثال: كريسو، وماروزو، وبيير جيرو، وأولمان وغيرهم.

ثانياً: الأسلوبية التكوينية، أو أسلوبية الفرد: إذا كانت أسلوبية التعبير هي أسلوبية اللغة وإمكاناتها التعبيرية، فإن هذه الأسلوبية، هي أسلوبية الكلام والنص، وهذا الاتجاه يهتم ((بدراسة علاقة التعبير بالفرد أو الجماعة التي تبدعه، وهو مرتبط بالنقد الأدبي))[٨٨] وسمي كذلك بالأسلوبية الأدبية المثالية، أو الأسلوبية النقدية، وظهر في الوقت الذي كان فيه النقد الوصفي يسير في طريق مسدود، ورائد هذا الاتجاه الأسلوبي ليو سبيتزر الذي تأثر بشكل مباشر بكارل فوسلر وأثار حركة نقدية واسعة أنتجت عدداً كبيراً من البحوث والدراسات في الولايات المتحدة بخاصة، أهم المسهمين فيها "داماسو ألونسو"، و"أمادو ألونسو"، و"سبويري"، و"هاتزفيلد"[٨٩]. وعرف منهجه في تحليل النص بالدائرة اللغوية أو الفيلولوجية، ويتلخص هذا المنهج في التعامل مع النص بثلاث خطوات: يقرأ النص في الخطوة الأولى بقصد ملاحظة سمة ما تتكرر في النص، وفي الخطوة الثانية يحاول الناقد اكتشاف البعد النفسي لهذه السمة المتكررة والمبدأ الإبداعي الذي تمثله، ويعود في الخطوة الثالثة إلى مجموع الملاحظات ويربط بينها من أجل تفسير الظواهر الأسلوبية لدى المبدع[٩٠].

ويسجل علماء الأسلوب في الغرب انتقادات شديدة على منهج سبيتزر تناولت اعتماده على الحدس، لا اللغة، فهي تبدأ برصد حالة سيكولوجية أو أيديولوجية ثم تبحث عما يؤيدها من اللغة، بل إن سبيتزر نفسه غيّر آراءه الأولى في سنواته الأخيرة[٩١] وهجر المنهج السيكولوجي مقترباً من النظرية البنيوية والمنهج الوظيفي[٩٢]

ثالثاً: الأسلوبية الوظيفية أو البنيوية، وتمثلها نظرية جاكوبسون التي تقوم على الوظائف الستة للخطاب[٩٣]:

١- الوظيفة التعبيرية أو الانفعالية: التي تعبر عن عواطف المرسل، وانفعالاته، وتستخدم فيها الأساليب الإنشائية المعبرة عن الحالات الشعورية، التعجب والإعجاب والتأوه والسخرية والتهكم، وهي أساليب إنشائية غير طلبية.

٢- الوظيفة الإفهامية: وتتمثل في الصيغ الإنشائية الطلبية، كالأمر والنهي، والدعاء والاستفهام والعرض والتحضيض والالتماس وتتعلق بالمرسل إليه.

٣-الوظيفة المرجعية: وتنتج مما يسمى بالسياق، وتتعلق بأحد أركان الدلالة وهو الموجودات التي ترمز إليها اللغة أو الواقع الخارجي في البلاغة العربية الذي يميز بين الكلام الخبري الذي يتوفر على هذا الواقع الخارجي، والكلام الإنشائي الذي ليس لنسبته الكلامية واقع خارجي بحسب تعريف القزويني.

4- الوظيفة الانتباهية أو الاتصالية: وهي تهتم بإبقاء التواصل بين طرفي الخطاب: المرسل والمرسل إليه، وتشمل العبارات اللغوية، والإشارات غير اللغوية التي يثير بها المرسِل الباث انتباه سامعه أو قارئه، من تأكيد أو تكرار أو همهمة، وتعده البلاغة من مقتضيات الحال التي ينبغي أن يراعيها المتكلم، أو البليغ.

٥- وظيفة ما وراء اللغة: وتدور حول وسيلة الإيصال، وهي اللغة، وما إذا كانت تؤدي وظيفتها في التواصل بين المتكلم والمخاطَب، أو المرسِل والمرسَل إليه، باستخدام عبارات مثل: ماذا تعني؟ أليس كذلك؟ وبتعبير آخر تظهر هذه الوظيفة في الرسائل أو النصوص التي تكون اللغة نفسها مادة دراستها، بذكر عناصرها، ومفرداتها، وأهميتها.

٦- الوظيفة الإنشائية أو الشعرية: وفيها يكون الكلام أو النص هو الغاية؛ فيدرس من الناحية الأدبية الجمالية، وثمة اختلاف في الكلام الذي يتوفر على هذه الوظيفة؛ إذ أنكر بعضهم أن يؤدي الكلام العادي مثل هذه الوظيفة، وقصرها على النصوص الفنية، واختيار جاكوبسون أن كل الوسائل مهما كانت غايتها تتضمن وظيفة أدبية بدرجات متفاوتة، والبلاغة العربية على الرأي الأول في هذه القضية التي ذكرها السكاكي ومن بعده القزويني، فقد جعلا للبلاغة طرفين: ((أعلى إليه تنتهي، وهو حد الإعجاز وما يقرب منه، وأسفل منه تبتدئ، وهو ما إذا غير الكلام عنه إلى ما هو دونه التحق عند البلغاء بأصوات الحيوانات، وإن كان صحيحَ الإعراب))[٩٤] فموضوع البلاغة هو الكلام البليغ، أو كلام البلغاء، في إطار التعريف المعروف للبلاغة: مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وهذه الوظيفة- في رأي جاكوبسون- وظيفة مركزية في الكلام تقوم على المطابقة التامة بين جدولي الاختيار والتوزيع، أو هي بنص عبارة بيير جيرو: ((تسقط مبدأ التعادل المحوري للانتخاب على محور التأليف))[٩٥] بل عدّ المسدّي ذلك جوهر نظرية جاكوبسون في تعريف الأسلوب[٩٦] ومن هنا تلتقي الأسلوبية الوظيفية بالمدرسة البنيوية؛ فالاختيار والتوزيع هما عين العلاقات الرأسية والعلاقات الأفقية عند دي سوسير[٩٧]، وسعى ريفاتير إلى استبدال الوظيفة الأسلوبية بالوظيفة الشعرية في مخطط جاكوبسون[٩٨]؛ ومبدأ الاختيار أو الانتخاب هو الذي يقوم على أساسه التفاضل بين أساليب اللغة، وهي الإمكانات المتعددة التي تتيحها لمستخدميها، والتي قرر علم النحو صحتها وجوازها، من اسمية الجملة وفعليتها، وإنشائيتها وخبريتها، والإيجاز في الكلام أو الإطناب الذي يستدعيه المقام، والتعريف والتنكير، والإطلاق والتقييد، وغير ذلك من الإمكانات التي يدرسها علم المعاني، ولا تخرج مباحث علمي البيان والبديع عن مبدأ الاختيار، فالحقيقة والمجاز، واللجوء إلى التشبيه والاستعارة، والكناية أو التصريح، والسجع أو الترسل، واستخدام التورية والتلميح وغيرها من أساليب البديع كلها اختيارات تتحدد مواقعها ومزاياها ووظائفها في الكلام في إطار المبدأ العام الذي

اعتمدته البلاغة العربية، وهو مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ومبدأ التوزيع ما هو إلا النظم الذي أسهب الجرجاني في الحديث عنه، وبه تظهر براعة الناظم في استخدام العناصر اللغوية التي تخيّرها، ومعروف أن البلاغة العربية استوحت فكرة النظم من نظم الخرز في العقد فشبهت به عملية تأليف الكلام.

وأسهم ريفاتير في رفد الأسلوبية البنيوية، وعدّ النص ضرباً من التواصل يقوم على ثلاثة عناصر: الكاتب، والقارئ، والنص، ويلتقي ريفاتير مع البلاغة العربية، باعتباره النص عملاً فنياً يحمل مقاصد أدبية، كما يلتقي مع نظرية التلقي؛ بتركيزه على أهمية القارئ والنص أكثر من الكاتب، ومرجع النص، وتميز ريفاتير كذلك باهتمامه بمفهوم الانحراف، أو التجاوز مقابل النمط اللغوي والتعبيري المتواضع عليه، ويكون ذلك بالخروج على النمط بما يسمى الخرق، أو اللجوء إلى الصيغ والأساليب النادرة المخالفة للمألوفات[٩٩] وهذا المفهوم تداوله كثير من الأسلوبيين، واشتملت عليه أغلب الاتجاهات الأسلوبية، وتعددت تسمياته: فهو الانزياح أو التجاوز، عند فاليري، والانحراف عند سبيتزر، والانتهاك عند كوهين، واللحن وخرق السنن عند تودوروف، والتحريف عند جماعة مو...إلى تسميات أخرى[١٠٠] ولعل الانزياح أكثر هذه المصطلحات تداولاً في الدراسات الأسلوبية، وهو مصطلح عسير الترجمة- كما يقول الدكتور المسدّي- ويقترح له بدائل مثل التجاوز، أو العدول[١٠١]، وإذا تجاوزنا المصطلح إلى مفهومه عند الأسلوبيين نجد أن الأسلوبية تقف على الأرضية نفسها التي قامت عليها البلاغة؛ فالانزياح الأسلوبي هو نفسه الاتساع اللغوي عند سيبويه وابن جني وغيرهما من اللغويين، قبل أن يكون للبلاغة كيانها العلمي المستقل في منظومة العلوم اللغوية، وهي عين المجاز بالمفهوم الذي استخدمه أبو عبيدة في "مجاز القرآن" قبل أن تتحدّد دلالته الاصطلاحية عند البلاغيين، والانزياح الذي يشكل السمة الأسلوبية في مقابل النمط اللغوي يتمثل بالمزايا البلاغية التي تمثلها فنون وصيغ بلاغية وأسلوبية متعددة: مثل المجاز في مقابل الحقيقة، والكناية مقابل التصريح، والتقديم والتأخير مقابل نظام الرتب في الجملة العربية، والخروج على الدلالات الحقيقية للأساليب الإنشائية مقابل دلالاتها الحقيقية ...

(١) البلاغة العربية قراءة أخرى- الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان- ط٢- ٢٠٠٧ : ٩.

(٢) لساني فرنسي، أستاذ اللسانيات في جامعة نيس، وجامعة فانكوفار، وهذا الكتاب حلقة من الكتب التي ألفها في سلسلة "ماذا أعرف؟" وكتب في هذه السلسلة أيضاً: "علم الدلالات" "النحو" "علم أصول الكلمات" "علم العلاقات" انظر: مجلة الثقافة الأجنبية: ع١س٢-١٩٨٢:ص٤٠.

(٣) الأسلوبية- ترجمة: د. منذر عياشي- مركز الإنماء الحضاري-ط٢-٢٠٠٨: ٩، ٢٧. وانظر: نحو نظرية أسلوبية لسانية- فيلي ساندرس- ترجمة: د. خالد محمود جمعة- دار الفكر بدمشق- ط١-٢٠٠٣: ٩٤.

(٤) مفاتيح الألسنية: ترجمة: الطيب البكوش- منشورات الجديد- تونس- ١٩٨١م: ١٣٣.

(٥) الأسلوبية والأسلوب- د. عبد السلام المسدّي- دار الكتاب الجديد المتحدة- بيروت- ط٥- ٢٠٠٦ م: ٨.

(٦) علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته- د. صلاح فضل- دار الشروق- ط١- ١٩٩٨م: ٩٧.

(٧) بناء الأسلوب في شعر الحداثة، التكوين البديعي- دار المعارف- ط٢- ١٩٩٥م: ٥.

(٨) دار الطلائع بتحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد: ص١٢ .

(٩) بتحقيق: عبد السلام هارون- مكتبة الخانجي- القاهرة- ط٧- ١٩٨٨م: ٨٨/١.

(١٠) من تقديمه لكتاب: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، للأستاذ الخولي- دار المعرفة- ط١- ١٩٦١: ٨.

(١١) الأسلوبية- ترجمة: د. منذر عياشي- ط٢- ٢٠٠٨.

(١٢) انظر: نحو نظرية أسلوبية لسانية- : ٩٤.

(١٣) نقلاً عن: نظرات في التراث اللغوي العربي- د.عبد القادر المهيري- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط١: ١٩٤. ومؤلفو كتاب البلاغة العامة هم ستة من المختصين في البحوث النقدية واللسانية، يطلق عليهم "جماعة مو" وقد صدر الكتاب في باريس سنة١٩٧٠م عن دار لاروس.

(١٤) انظر: من قضايا الفكر اللساني، في النحو، والدلالة، واللسانية- صابر الحباشة- دار صفحات للدراسات والنشر- ط١- ٢٠٠٩م :٢٩-٣٢.

(١٥) انظر: الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية: أحمد الشايب- مكتبة النهضة المصرية- ط٥-: ٢٣، ٢٤.

(١٦) منهاج البلغاء وسراج الأدباء- تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط٤- ٢٠٠٧م: انظر: الصفحات: ٦٢- ٦٩.

(١٧) انظر: المصدر نفسه: ٧٠.

(١٨) انظر: نظرات في التراث اللغوي العربي: ١٩٣.

(١٩) علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته: ٥.

(٢٠) البلاغة والأسلوبية، نحو نموذج سيميائي لتحليل النص- هنريش بليث- ترجمة: د. محمد العمري: ٢٢.

(٢١) المصدر نفسه: ٢٢.

(٢٢) في محاضرة للدكتور عبد الله الغذامي في البحرين نشرت على شبكة الأنترنت.

(٢٣) البلاغة والأسلوبية: ٢٢.

(٢٤) نظرات في التراث اللغوي العربي: ١٩٢ ، ١٩٣. ويضيف د. المهيري أن بارت اتخذ من تحليل بلاغة أرسطو موضوعاً لتدريسه بالمدرسة التطبيقية للدراسات العليا.

(٢٥) علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته: ١٨٠.

(٢٦) دليل النظرية النقدية المعاصرة- مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع- الكويت- ط١- ٢٠٠٤: ١٠٧.

(٢٧) انظر: البلاغة والأسلوبية: ١٩. وانظر أيضاً: النص والأسلوبية، بين النظرية والتطبيق- عدنان بن ذريل- اتحاد الكتاب العرب- ٢٠٠٠م: ٥٣.

(٢٨) انظر: البلاغة والأسلوبية:٢٥-٢٧.

(٢٩) انظر: البيان والتبيين: ١/١٣٠-١٣٦.

(٣٠) الإيضاح في علوم البلاغة- تحقيق: عبد الحميد هنداوي- مؤسسة المختار للنشر والتوزيع- ط٢- ٢٠٠٤: ١٩

(٣١) الأسلوب والأسلوبية- جراهم هاف- ترجمة: كاظم سعد الدين- دار آفاق عربية ١٩٨٥: ٤٣.

(٣٢) انظر: الأسلوبية والأسلوب: ١٢٥.

(٣٣) نقلاً عن: علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته:١٨. وأحال الدكتور منذر عياشي هذا التعريف إلى النص الفرنسي لكتاب بالي: "مصنف الأسلوبية لفرنسية": ص١٩.وهذه ترجمته: ((تدرس الأسلوبية وقائع التعبير اللغوي من ناحية مضامينها الوجدانية، أي تدرس تعبير وقائع الحساسية المعبرة عنها لغوياً، كما تدرس فعل الوقائع اللغوية على الحساسية)) الأسلوبية وتحليل الخطاب- مركز الإنماء الحضاري- دار المحبة- سوريا- ٢٠٠٩: ٣١.

(٣٤) نقلاً عن "علم أساليب البيان"- د.غازي يموت- دار الفكر اللبناني- بيروت- ط٢- ١٩٩٥.

(٣٥) الأسلوب والأسلوبية: ٢٢. وانظر هذا التعريف في: دليل النظرية النقدية المعاصرة د. بسام قطوس: ١٠٩.

(٣٦) مدخل إلى علم الأسلوب – دار العلوم للطباعة والنشر – الرياض- ١٩٨٢.

(٣٧) الكتاب نشرته الدار المصرية اللبنانية- ١٩٩٢- ط١: ٥-٧.

(٣٨) البلاغة والأسلوبية- د.محمد عبد المطلب- مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، والشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، مصر – ط١- ١٩٩٤م: ٢.

(٣٩) نفسه: ٢٩.

(٤٠) انظر: لسان العرب لابن منظور – دار صادر – بيروت- ط١، وتاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي- مجموعة من المحققين- دار الهداية، مادة "سلب".

(٤١) انظر: أساس البلاغة للزمخشري- تحقيق: محمود محمد شاكر – مطبعة المدني- القاهرة- ١٩٩١: "سلب".

(٤٢) جمهرة اللغة لابن دريد، ولسان العرب "سلب".

(٤٣) المحيط في اللغة للصاحب بن عباد: "سلب" تحقيق: محمد حسن آل ياسين- عالم الكتب- ط١- ١٩٩٤.

(٤٤) كتاب الكليات- تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري- مؤسسة الرسالة- بيروت- ١٩٩٨م:١٠٦.

(٤٥) انظر: ٣/٣٠٩. تحقيق: خليل إبراهيم جفال- دار إحياء التراث العربي- بيروت- ط١- ١٩٩٦.

(٤٦) البلاغة والأسلوبية: ٩.

(٤٧) علم الأسلوب في الدراسات الأدبية والنقدية- د.عبد العظيم المطعني- مكتبة وهبة- ط١- ٢٠٠١م:١١.

(٤٨) أساس البلاغة: "سلب".

(٤٩) تأويل مشكل القرآن- تحقيق: السيد أحمد صقر- دار إحياء الكتب العربية- القاهرة- ١٩٥٤:

١٠، ١١.

(٥٠) الأسلوب- مكتبة النهضة المصرية- ط٥- ١٩٥٦: ٥٤.

(٥١) انظر: المخصص لابن سيدة: ٢١٦/٣. باب نعوت النخل في اصطفافها.

(٥٢) الأسلوب والأسلوبية: ٣١.

(٥٣) انظر: الأسلوبية- بيير جيرو: ١٧.

(٥٤) انظر: الأسلوبية: الرؤية والتطبيق- د.يوسف أبو العدوس- دار المسيرة- عمان- ط١- ٢٠٠٧: ٣٥.

(٥٥) علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته: ٩٣. وعند الدكتور محمد عبد المطلب ((هي مأخوذة من الكلمة اللاتينية (stylas) بمعنى عود من الصلب كان يستخدم في الكتابة، ثم أخذت تطلق على طريقة التعبير عند الكاتب)) البلاغة والأسلوبية: ١٨٥.

(٥٦) انظر: المصدر نفسه: ٩٣.

(٥٧) انظر: الخطابة، الترجمة العربية القديمة- أرسطو طاليس- تحقيق وتعليق: عبد الرحمن بدوي- وكالة المطبوعات، الكويت ودار القلم، بيروت: وقد وردت الكلمة في مواضع عديدة من المقالة الثالثة، الصفحات:١٨٥، ١٩٢، ١٩٨، ٢٠٢، ٢٠٧ على سبيل المثال.

(٥٨) علم الأسلوب: ٩٣.

(٥٩) كتاب العين- تحقيق: د.مهدي المخزومي- ود.إبراهيم السامرائي- دار ومكتبة الهلال: "نظم".

(٦٠) الجامع لأحكام القرآن- تحقيق: هشام سمير البخاري- دار عالم الكتب- الرياض- ٢٠٠٣: ٧٣/١.

(٦١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل- أبو القاسم الزمخشري- تحقيق: عبد الرزاق المهدي- دار إحياء التراث العربي- بيروت:٢٨/١.

(٦٢) المصدر نفسه: ٣٦٥/٣.

(٦٣) دلائل الإعجاز- تحقيق: محمود محمد شاكر- مطبعة المدني بالقاهرة، ودار المدني بجدة- ط٣- ١٩٩٢: ٤٦٨، ٤٦٩.

(٦٤) العمدة في محاسن الشعر وآدابه- تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد- دار الجيل- ط٥- ١٩٨١: ١٩/٢- ٢٠

(٦٥) المصدر نفسه: ٢/ ٢٨٢، ٢٨٨- ٢٨٩.

(٦٦) مفتاح العلوم- يوسف أبو يعقوب السكاكي (ت٦٢٦هـ) تحقيق: نعيم زرزور- دار الكتب العلمية- بيروت- ط٢- ١٩٨٧م: ٤٣١.

(٦٧) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز الشعر- تحقيق: د. حفني محمد شرف- المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية- القاهرة: ٢٩٧، ٣٨٦.

(٦٨) معجم المصطلحات الألسنية- د.مبارك مبارك- دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر- بيروت- ط١- ١٩٩٥م- : ٩٥.

(٦٩) مقدمة ابن خلدون- تحقيق: خليل شحادة- دار الفكر- بيروت- ط٢- ١٩٨٨- الصفحات: ٧٨٦-٧٩٠

(٧٠) الإيضاح: ١٩.

(٧١) م.ن: ٢١.

(٧٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٣٦٣.

(٧٣) منهاج البلغاء: ٣٢٨. وانظر الصفحات التالية إلى ص٣٨٠ .

(٧٤) المصدر نفسه: ٣٦٦.

(٧٥) م.ن: ٣٦٦.

(٧٦) م.ن: ٣٦٦.

(٧٧) انظر تفسيره: مفاتيح الغيب– دار إحياء التراث العربي: ٣٢٥/١٧.

(٧٨) المصدر نفسه: ٤٥٤/٢٦.

(٧٩) انظر على سبيل المثال: الأسلوبية: الرؤية والتطبيق للدكتور يوسف أبو العدوس، الفصل الأول تحت عنوان: مفهوم الأسلوب عند النقاد القدامى والمحدثين: ١١–٣٢. والبلاغة والأسلوبية للدكتور محمد عبد المطلب، الباب الأول: مفهوم الأسلوب في تراث القدامى، المشارقة والمغاربة: ٩– ٨١. ودرس الأسلوب في تراث المحدثين في الباب الثاني: ٨٢– ١٦٧.

(٨٠) دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث– دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع– القاهرة: ٧.

(٨١) انظر على سبيل المثال: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ٢٨/١و٣٦٥/٣.

(٨٢) انظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر– تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد– المكتبة العصرية– بيروت–١٩٩٥: ٢/ ٣٨٣.

(٨٣) الأسلوبية: ٥٨.

(٨٤) الأسلوب والأسلوبية: ٤٠. نقلاً عن كتاب كريسو "الأسلوب وتقنياته": ص٣. وانظر: علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته: ٢٢،٤١.

(٨٥) الأسلوبية، الرؤية والتطبيق: ٣٦. وفيه أن مفاهيم الأسلوبية بعد جمعها وتنقيحها ربت على الثمانين مفهوماً.

(٨٦) الأسلوبية: ٥٨.

(٨٧) م.ن: ٦٧.

(٨٨) الأسلوبية: الرؤية والتطبيق: ٩١.

(٨٩) انظر: الأسلوبية: ٧٦، ٨٢– ٨٤.

(٩٠) انظر: اتجاهات البحث الأسلوبي– د. محمد شكري عياد– دار العلوم– الرياض– ١٩٨٥: ١١٠.

(٩١) الأسلوبية الرؤية والتطبيق: ١٢١–١٢٤.

(٩٢) انظر: علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته: ١٩٦–١٩٧.

(٩٣) لُخصت الأفكار الأساسية لهذه النظرية بوظائفها الستة من: الأسلوبية والأسلوب للمسدَي:١٢٠–١٢٣. والأسلوبية، الرؤية والتطبيق: ١٣٤–١٣٧.

(٩٤) الإيضاح: ٢١. وهو كلام السكاكي نفسه في المفتاح: ٤١٥. بتحقيق: نعيم زرزور– دار الكتب العلمية– بيروت– ط٢– ١٩٨٧.

(٩٥) الأسلوبية: ١٢١.

(٩٦) انظر: الأسلوبية والأسلوب: ١٠٩.

(٩٧) انظر: الأسلوبية: الرؤية والتطبيق: ١٣٧.

(٩٨) انظر: أسلوبية البناء الشعري: دراسة أسلوبية لشعر سامي مهدي- أرشد علي محمد- دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد- ١٩٩٩-ط١: ٢١.

(٩٩) انظر: الأسلوبية: الرؤية والتطبيق: ١٤٠- ١٤١، ١٥٠.

(١٠٠) انظر: الأسلوبية والأسلوب: ٧٩- ٨٠.

(١٠١) نفسه: ١٢٤.

List of References:

1. The literature of the writer - Ibn Qutayba Abdullah bin Muslim al-Dinori (d. 276 AH) investigation: Muhammad Muhyi al-Din

Abdel Hamid - Dar Al-Tala'i - Beirut.

2. The basis of rhetoric - Imam Al-Zamakhshari, Mahmoud bin Omar - investigation: Mahmoud Muhammad Shaker - Al-Madani Press - Cairo - 1991.

3. Style, an analytical rhetorical study of the origins of literary styles - Ahmed Al-Shayeb - Al-Nahda Library

The Egyptian - 5th floor - 1956.

4. Style and stylistics - Graham Half - Translated by: Kazem Saad Al-Din - Arab Horizons House –

Iraq - Baghdad - 1985.

5. Stylistics - Pierre Giroud - Translator: Dr. Munther Ayachi - Civilization Development Center - 2nd floor–

.٢٠٠٨

6. Stylistics of poetic construction: a stylistic study of the poetry of Sami Mahdi - Arshad Ali Muhammad - Dar

General Cultural Affairs - Baghdad - Edition 1 - 1999.

7. Stylistics, vision and application - Dr. Youssef Abu Al-Adous - Dar Al-Masirah - Amman - Jordan–

i 1- 2007.

8. Stylistics and Style - Dr. Abdel Salam Al-Masadi - United New Book House - Beirut, Lebanon

i 2006-5.

9. Stylistics and Arabic Statement - Dr. Abdel Moneim Khafagy and others - Egyptian Lebanese House

i 1- 1992.

10. Stylistics and Discourse Analysis by Dr. Munther Ayachi - Center for Civilization Development, Dar Al-Mahabah - Syria–

.٢٠٠٩

11. Clarification in the Sciences of Rhetoric - Al-Khatib Al-Qazwini - Investigation: Abdul Hamid Hindawi - Foundation

Al-Mukhtar for Publishing and Distribution - 2nd Edition - 2004.

12. Arabic rhetoric, another reading - Dr. Muhammad Abdel Muttalib - The Egyptian International Company

Longman Publishing. Edition 2 - 2007.

13. Rhetoric and Stylistics - Dr. Muhammad Abdel Muttalib - Library of Lebanon Publishers Beirut Lebanon,

And the Egyptian International Publishing Company - Longman - Egypt - Edition 1 - 1994.

14. Rhetoric and stylistics, towards a semiotic model for text analysis - Heinrich Blythe - translation

Comment: Dr. Muhammad Al-Omari - East Africa - Morocco - Beirut - Lebanon - 2nd Edition- 1999 AD.

15. The construction of style in the poetry of modernity, Al-Badee'i Genesis - Dr. Muhammad Abdul Muttalib - House of Knowledge - 2nd floor-

.١٩٩٥

16. Al-Bayan wa Al-Tabeen - Al-Jahez - Investigation: Fawzi Atwi - Dar Saab - Beirut.

17. The crown of the bride from the jewels of the dictionary - Mortada Al-Zubaidi - investigation: a group of investigators - Dar

Guidance.

18. Interpretation of the Problem of the Qur'an - Ibn Qutayba al-Dinori - Investigation: Sayed Ahmed Saqr - House of Revival

Arabic Books - Cairo - 1954.

19. Editing Inking in Poetry and Prose Industry and Explanation of the Miracles of Poetry - Investigation: Dr. Hfni

Muhammad Sharaf - Supreme Council for Islamic Affairs - Cairo.

20. The Collector of the Rulings of the Qur'an - Investigation: Hisham Samir Al-Bukhari - Dar Alam Al-Kutub - Riyadh-

.٢٠٠٣

21. The language crowd - Ibn Duraid Muhammad bin Al-Hassan Al-Azdi (died 321 AH) - investigation: Ramzi Munir

Baalbaki - House of Science for Millions - Beirut - 1st Edition - 1987.

22. Rhetoric - Aristotle Thales - the old Arabic translation - investigation and commentary: Abdul Rahman Badawi-

Publications Agency, Kuwait - Dar Al Qalam, Beirut - 1949.

23. Evidence of Miracles - Abdel Qaher Al-Jerjani - Investigation: Mahmoud Muhammad Shaker - Al-Madani Press in Cairo,

And Dar Al-Madani in Jeddah - 3rd floor - 1992.

24. A Guide to Contemporary Critical Theory - Dr. Bassam Qatous - Dar Al Orouba Library for Publishing and Distribution-

Kuwait - 1st Edition - 2004.

25. The Science of Statement Methods - Dr. Ghazi Yamout - Lebanese Thought House - Beirut - 2nd Edition - 1995.

26. Stylistics in Literary and Critical Studies - Dr. Abdul Azim Ibrahim Al-Muta'ni - Wahba Library-

Cairo - 1st floor - 2001.

27. The science of style, its principles and procedures - d. Salah Fadl - Dar Al-Shorouk - Cairo - 1st floor - 1998.
28. Al-Umda fi Beauties of Poetry and its Etiquette - Investigation: Muhammad Muhyi Al-Din Abdul Hamid - Dar Al-Jeel - 5th Edition - 1981
29. The Book of Al-Ain - Al-Khalil bin Ahmed Al-Farahidi - Investigation: Dr. Mehdi Makhzoumi and d. lbrahim
Al-Samarrai - House and Library of Al-Hilal.
30. The Book of Colleges - by Abi Al-Baqa Al-Kafwi - Investigation: Adnan Darwish and Muhammad Al-Masry - Foundation
The Message - Beirut - 1998.
31. Al-Kashf about the Realities of the Revelation and the Eyes of the Gossip in the Faces of Interpretation - Abu Al-Qasim Al-Zamakhshari - Investigation:
Abdul Razzaq Al Mahdi - House of Revival of Arab Heritage - Beirut.
32. Lisan Al Arab - Ibn Manzour, Muhammad bin Makram - Dar Sader - Beirut - 1st Edition.
33. Al-Mohit fi Al-Lughah - Al-Sahib bin Abbad (d. 385 AH) - Investigation: Muhammad Hassan Al-Yassin - World of Books - Edition 1 - 1994.
34. Dedicated - to Ibn Sayda, Ali bin Ismail - Investigation: Khalil Ibrahim Jaffal - Heritage Revival House
Al-Arabi - Beirut - 1st floor - 1996.
35. An Introduction to Stylistics - Dr. Shukri Ayyad - Dar Al Uloom for Printing and Publishing - Riyadh -1982.
36. Keywords of Languages - George Monan - Translated by: Al-Tayeb Al-Bakoush - Al-Jadeed Publications - Tunis - 981 AD.
37. Keys to the Unseen - Muhammad bin Omar Fakhr Al-Din Al-Razi (d. 606 AH) - House of Revival of Arab Heritage–
Beirut - 3rd floor - 1420 AH.
38. Miftah al-Ulum - Abu Yaqub Yusuf bin Abi Bakr al-Sakaki (d. 626 AH) Investigation: Naim Zarzour - Dar
Scientific Books - Beirut - 2nd Edition - 1987 AD.
39. Renewal Methods in Grammar, Rhetoric, Interpretation and Literature - Amin Al-Khouli - Dar Al-Marefa - 1st Edition–
١٩٦١ AD.
40. From the issues of linguistic thought, in grammar, semantics and linguistics - Saber Al-Habasha - Dar Pages
For Studies and Publishing - Damascus - 1st Edition - 2009 AD.
41. Minhaj Al-Balagha and Siraj Al-Alibaa - Hazem Al-Qirtagni - Investigation: Muhammad Al-Habib Ibn Al-Khoja - Dar
The Islamic West - Beirut - 4th edition - 2007 AD.
42. Towards a linguistic stylistic theory - Philly Sanders - translation: Dr. Khaled Mahmoud Jumaa - Dar Al-Fikr
In Damascus - i 1 - 2003 AD.

43. Text and stylistics between theory and practice - Adnan bin Zaril - Union of Arab Writers - 2000 AD.
44. Looks at the Arabic Linguistic Heritage - Dr. Abdul Qader Al Muhairi - Dar Al Gharb Al Islami - Beirut–
Lebanon - i 1 - 1993 AD.